

يقول الحكيم من يساء ومن يوت
الحكمة فقد أتى خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أوّل الألباب

المصباح

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يسمعون القول
فيستمعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «مناراً» كمنار الطريق)

(مصر في يوم السبت ١٦ جمادى الأولى سنة ١٣١٩ - ٣١ اغسطس (آب) سنة ١٩٠١)

وظائف علماء الدين

إذا طالب عقلاء المسلمين وفضلاؤهم العلماء بالعمل وخدمة الأمة التي اشرفت على الانحلال بتوانهم واهمالهم وعكوفهم على ما يرون ان فيه منفعتهم الشخصية ينبري علماء السوء الذين ساهم الله تعالى ظلمي أنفسهم للطعن في المطالب قائلين انه اهان العلماء وحاول ازالة سلطانهم ونفوذهم من نفوس العامة كأنهم يرون ان غاية العلم وفائدته تعظيم العامة لهم واکرامهم بالمال وغيره ولكن الله ورسوله يشهدان على ان من يطلب العلم لهذه الغاية عدو لله مستحق لعقوبته

آيات القرآن التي تأمر بالاخلاص وابتغاء مرضاة الله تعالى وحده في كل أمر ديني كثيرة . وكذلك الأحاديث الصحيحة ومنها ما رواه احمد ومسلم والنسائي ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : « ان اول الناس يُقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأُتي به فعرّفه نعمته

فمرقها^(١) قال فاعمت فيها ؛ قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت
ولكنك قاتلت ليقال جريء فقد قيل ثم اصر به فسحب على وجهه حتى
ألقى في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأثى به فرفه نعمة فمرقها
قال فاذا عمت فيها ؛ قال تعلمت العلم وادامته وقرأت فيك القرآن قال
كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد
قيل ثم اصر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار . ورجل وسع الله
عليه واعطاه من اصناف المال كله فأثى به فرفه نعمة فقال ماذا عمت
فيها ؛ قال ما تركت من سبيل تحب ان ينفق فيها الا اتقت فيها قال
كذبت ولكنك فعلته ليقال هو جواد فقد قيل ثم اصر به فسحب على
وجهه ثم ألقى في النار . « ورواه غير هؤلاء الثلاثة بالفاظ اخرى . وفي
حديث للحاكم مختصر ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال « ثلاثة
مهلكون عند الحساب جواد وشجاع وعالم »

فعلمنا من هذا ان العالم الذي غرضه من العلم السمعة وان يحترمه
العوام ويكرمونه هو من اهل النار وان كان عاملاً بعلمه ومفيداً للناس
لان الله لا يقبل من العمل الا ما كان خالصاً لوجهه الكريم فما بالك اذا
كان غير عامل ولا معلّم او كان يتخذ العلم احبولة لصيد المال بالباطل وحيلة
لاضاعة الحقوق كبعض متفهمة الحنفية وقضاتهم الذين يتفقون مع المحامين
الذين لا ذمة لهم ولا امانة على اضاعة الحقوق واقتسام الجمل على ذلك
هل يمد هؤلاء الفجار من علماء الدين الذين يجب احترامهم واكرامهم ؛

(١) قوله فاقى به الخ تعبير بالماضى عن المستقبل باعتبار أن ما سيخ قطعاً في
تحقيقه كأنه قد وقع فعلاً . وقوله فرفه أي يعرفه الله تعالى نعمة وهكذا يقال في الباقي

كلا بل اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون
لو كانوا من حزب الله وعلماء دينه خافوه وخشوا منه فقد قال
تعالى « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » ولا شك ان من يعرف الله
يخافه تعظيماً واجلالاً ويخافه حذراً من عقوبته ولو كان هؤلاء يخافون
الله تعالى لما تمادوا في الظلم وهو كما ورد ظلمات يوم القيامة وهو من
الذنوب التي لا يفرها الله تعالى الا ان يفر المظلوم واكثر المظلومين لا
يغفرون لمن ظلمهم . وقد ورد في الصحيحين ان النبي صلى الله تعالى عليه
 وآله وسلم قال لما ذبح ارسله الى اليمن « اتق دعوة المظلوم فانه ليس
بينها وبين الله حجاب » فثبت بهذا انهم لا يعرفون الله تعالى ومن لا
يرف الله تعالى فهو اجهل الجاهلين ، وان حفظ الشربلية والتاريخية
والولولجية وابن عابدين ،

علماء الدين هم الذين يقومون بحقوق الدين ويؤدون وظائف العلم به
فيكونون كالمنارة حياة للبلاد وللعباد . روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث
ابي موسى عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم انه قال « مثل ما يشئ الله
به من الهدى والعلم كمثل الفيت الكثير اصاب ارضاً فكان منها نقيّة قبلت
الماء فأبقت الكلاً والعشب الكثير^(١) وكان منها اجادب امسكت الماء
فنفخ الله بها الناس فشرّبوا منها وسقّوا ورعوا^(٢) وأصاب طائفة اخرى انما
هي قيمان لا تمسك ماء ولا تبت كلاً^(٣) فذلك مثل من فقه في دين الله

(١) النقيّة الحصية (٢) اجادب جمع جذب بالتحريك على غير قياس كذا قال
شارح . وفي القاموس انه جمع أجذب الذي هو جمع جذب . قال ابن الاثير هي
صلاب الارض تمسك الماء ولا تشربه سريعاً وهذا المثل لرواة العلم وحلته والاول
للمستبطين وهما القيمان المنتفعان (٣) هذا مثل من لم يتفهم ولم ينفع

ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به « وهذا الحديث الصحيح بمعنى الآية الشريفة التي افتتحنا بها مقالة (علماء الدين) في الجزء الماضي . فالظالم لنفسه هناك هو المضروب له مثل الارض القيمان التي لا ينتفع بها . واما الذي يؤذى الناس بتعليمهم الحيلن الفقهية التي يأكلون بها السحت ويهضمون الحقوق فهو شر الاشرار ولم يذكر هنا ولا هناك لانه ليس من علماء الدين بالمرءة وقانا الله والناس من شره

ما هي وظائف علماء الدين ؟ يقولون هي حفظ علوم الدين مقاصدها ووسائلها وتعليمها للناس . وما الفرض من هذه العلوم الا حفظ الدين ولقته العربية وانتشارها فهل هما في هذه المصود محفوظان ومنتشران بسبي العلماء فبراهم من التصير ؟ بينا في الجزء الماضي ان اكثر المسلمين غير عاملين بالدين على وجهه واقمنا على ذلك البرهان الذي لا ينقض ونقول الآن في اللغة : ان الازهر وهو اكبر مدرسة دينية في العالم لا يوجد بين هؤلاء الالوف من المدرسين والمتعلمين فيه عشرة نفر يفهمون كلام العرب ويقدرون على الكلام العربي البليغ قولاً وكتابةً واذا زعم المكابرون ان هذا القول غير صحيح فليمدوا لنا عشرة منهم يفهمون اللغة وينطقون بها ويكتبون وليرزوم لامتحان . يخرج في كل عام من المدارس الاميرية وغيرها مئات يحسنون التكلم بانه اجنبية ولا يخرج من الازهر مجاور واحد يحسن اللغة العربية فهل صار تحصيل لغة القرآن وهي افصح اللغات واعذبها متقدراً ، وتحصيل تلك اللغات التي سماها العرب اعجمية تشبيهاً لاهلها بالصجاوات (كما قال بعض الاذكياء) سهلاً متيسراً ؟ كلا ان

العربية ضاعت بفساد التعليم بل يفقده فإن الاشتغال ببعض الكتب الفنية لذاتها والمحاورة في أساليبها الضعيفة الركيكة لا يوصل إلى اللغة . وإنما يعين على تحصيلها فهم القواعد ، مع الأمثال والشواهد ، إذا جرى إليها من طريقها ، ودخل عليها من بابها ، وهو مدارسة كلام أهلها وحفظ جملة صالحة منه مع الفهم كما ينه في المنار مراراً

وجد في مصر عالم من علماء اللغة يعد في طبقة الأئمة الحفاظ الذين وضعوا لها المعاجم ودوتوا الدواوين وهو الشيخ محمد محمود الشنيطي فلم يعرف له فضله أحد من علماء الأزهر ويرشد الناس إلى الانتفاع بعلومه إلا مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده وكان ينبغي لشيخ الأزهر أن يتدبه لقراءة اشعار العرب وأراجيزهم في الأزهر وقراءة بعض الكتب النافعة ككتاب سيويه وكتاب الكامل للمبرد وأسر العلماء ونجباء المجاورين بالتلقى عنه إذا كانوا يودون أحياء اللغة ولا يحيا الدين إلا بحياة لغة ولذلك أوجب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه على كل مسلم أن يتعلمها كما في كتاب الام وأكثر علماء الأزهر شافية

هذا كلام إجمالي في وظائف علماء الاسلام التي يسلم جميعهم بأنها مطلوبة منهم ولو بسطناها بالتفصيل لاحتجنا إلى إعادة كثير مما كتبناه في مقالات سابقة . من ذلك ان الدعوة إلى الدين من أهم وظائف العلماء به وقد كتبنا فيها مقالين مسهبين في الجزئين ٢٠ و ٢١ من المجلد الثالث . ومنها المدافعة عن الدين ورد الشبهات التي ترد عليه من المشتغلين بالعلوم الكونية ومن أهل الأديان الأخرى وهذه الوظيفة تستلزم ان يعرف علماء الدين جميع العلوم الكونية لا سيما التي ساقى المسلمين طبيعة المعرفان إلى

تعلمها كالرياضيات والطبييات والتاريخ بأتوابعه والفلسفة واننا نرى الذين يتلقون هذه العلوم يقعون في شبهات تزلزل عقائدهم ومنهم من يبرق من الدين مسروق السهم من الرمية وقد ابتلينا بمناظرة كثيرين منهم ووقفنا الله تعالى لاقتناع بعضهم والزام بعض ، وراينا بعضهم يتألم ويتململ من الشبهات ويقولون انهم طلبوا كشفها ممن يعرفون من علماء الدين فمنهم من لم يشهم الشبهة لان فهمها يتوقف على معرفته بالعلم الذي تولدت منه ومنهم من كان يكذب بها وينكرها بالمرّة بدعوى ان الذين قالوها او اكتشفوها كفار فكان مثلهم كمثل ذلك القاضي الشرعي الذي استحل شرب نوع من الخمر بناء على ان الذي اشتراها له روى عن ابيه اشترى منه وهذا روى عن صانعيها وكلهم كفار لا تقبل روايتهم !!! ومنهم من كان يكتبني من الجواب بقوله ان هذا كفر وان كلام الدين وعلماء الدين اصدق من كلام الفلاسفة والكافرين . ونحن نقول استحليل الخلاف والتناقض بين الدين الاسلامي وما ثبت من العلوم الكونية وقد بينا هذا في مقالة « الشريعة والطبيعة والحق والباطل » فلترجع في المجلد الثاني (صفحة ٦٤١)

يجت كتابنا وكتاب اوربا في مستقبل الاسلام وليس امام المسلمين الا احد امرين (١) الاخذ باسباب القوة والثروة من طريق العلوم الكونية بباعت الدين وعلى الوجه الذي يحفظ مجده ولا يمكن ان يكون هذا الا اذا كان زمام التعليم في ايدي علماء الدين ولا يكون زمامه في ايديهم حتى يكونوا عارفين بهذه العلوم حق المعرفة مع الحكمة والسياسة وحسن التوصل للتوصل . و (٢) الوقوع في اسر اوربا واستعبادها

البلاد الاسلامية على قسمين - بلاد فاض عليها سيل اوربا وبلاد

لما يأتيها السيل الجارف وانما اصاب بعضها رشاش منه يندرم بالطوفان العظيم « والسيل حرب لا مكان العالي » ولذلك جرف الحكام قبل المحكومين وهم له كارهون والناس تبع لرؤسائهم في الدين والدنيا فاذا ذهب التيار برؤساء الدنيا فالمطلوب من رؤساء الدين السعي في انقاذهم واتخاذ سائر الامة فان اصراء المسلمين وحكامهم لم يلبثوا مبالغ حكام اوربا في نبذ الدين وراء ظهورهم فهم في الغالب يعتقدون بحقيقته ولا يرون سبيلاً لاقامة احكامه لان العلماء لم يجلوها لهم على الوجه الذي ينطبق على مصالح البشر في هذا العصر بل ظهر لهم عجز علماء المسلمين عن اقامة العدل وحفظ مصالح الناس في الاحكام الشخصية التي عهدت اليهم في المحاكم الشرعية . فاذا استطاع العلماء في هذه البلاد ان يحولوا سبيل العلوم والمدنية الى المجاري الاسلامية يتسنى لهم بعد ذلك ان يفيضوا منه على البلاد الاخرى وهي تقبله سريعاً لانه جاء من قبل اخوانهم في الدين فيم الاصلاح بوقت قريب ألا ترى ان مسلمي الهند كانوا يخافون من هذه العلوم التي يستنشقون اليوم منها نسيم الحياة لانها جاءتهم على ايدي الانكليز .

ونقول في الختام : من وظائف علماء الدين نشر لغة الدين بجمالها لغة التخاطب ولغة العلوم لتستغني الامة بها عن اللغات الاجنبية الانفراً يترجمون وينقلون . ومن وظائفهم الاستعداد للمداومة عن الدين ومقاومة البدع ورد الشبه التي ترد عليه . ومن وظائفهم نشره والدعوة اليه . ومن وظائفهم تميم تعليمه على الوجه الذي يرقى العقول والارواح ويرشد الى سعادة الدارين . ومن وظائفهم التربية الدينية العملية التي تطبع ملكات

الفضائل في النفوس . والاعمال تابعة للعقائد والملكات فتى صالحا بالتعليم الصحيح والتربية النافعة حسنت الاعمال وسعدت الامة . ومن وظائفهم ازالة الخلاف في الدين وجمع كلمة المسلمين . ومن وظائفهم الاجتهاد في جعل جميع كتب التعليم من تأليفهم كيلا يدخل فيها ما يزعم الاعتقاد او يفسد الآداب بل لتكون مزيد كمال في الايمان . ومن وظائفهم القيام بجميع مصالح الامة حتى السياسية والحربية لان الاسلام دين جامع لكل ما يحتاجه البشر فاذا كانوا قد سلبوا هذه الرياسة لتقصيرهم فينبغي لهم ان يستعدوا لها حتى اذا اعطوها اقاموا بها حق الاسلام ونصروا الدين الخ الخ :

فهل ادوا وظيفة من هذه الوظائف حقها وقاموا بها كما ينبغي ؟ ولا ينتفي عنهم التقصير الذي نسبه اليهم شيخ الاسلام ومفتي الديار المصرية الا اذا قاموا بها كلها وظهر اثرها في اسعاد الامة وترقيتها وعند ذلك يعظمون بحق واذا تمادوا في هذا الاهمال ، فلا يمضى زمن يسير حتى يزول ما بقي لهم من الكرامة والاجلال ، ويحرمون الجاه والمال ، ويكون ما لهم شر مال ، وبعد ذلك يقبض الله لدينه من شاء من الامم ليظهره على الدين كله ، والماقبة للمعتقين ، ولا عدوان الا على الظالمين .



« شبهات التاريخ على اليهودية والمسيحية . وحجج الاسلام على المسيحيين »

« نبذة رابعة »

ذكرنا في النبذة الماضية ان عقائد المسيحيين التي هم عليها من عهد بعيد مأخوذة من عقائد الوثنيين وقلنا ان الكتب التي يسمي مجموعها عند اليهود